

ملاحظات عابرة

صحافة عابثة — نساء فارغات — بنات مدلات

(١)

في مصر قليل من المجلات الباردة وكثير من المجلات العابثة وتلقى هذه من الرواج والانتشار أضغاف ما تجده تلك . فعلام يدل هذا ؟

إنه يدل على أمرين : أما أولهما فوجود جمهور عابث يسمى وراء التسلية أكثر مما يسمى وراء الاستفادة ولا يجد في نفسه إلا الهزل الرخيص ولا في حياته إلا الوقت الفارغ الذي يملؤه أو يقتله بهذا الهزل الرخيص . وأما ثانيهما فهو أن المجلات الباردة لا تعرف كيف تجتذب إليها هذا الجمهور بلباقة العرض وحرارة الموضوعات فتتركه فريسة للعبث السخيف الذي تطفح به المجلات الهائلة وكلا الأمرين في حاجة إلى العلاج .

ونحن لا نطمح أن تغير الصحافة العابثة مسلكها الذي تجدد فيه الريح من كل جانب : فالذين يقومون على تلك الصحف تجار و بوهيميون مستهترون . وخطتهم في صحافتهم تحقق لهم كل أغراضهم في الحياة ، هذه الأغراض هي الريح المسادی والشهرة لدى الجماهير ، وقضاء غايات في أوساط خاصة .

وهم يحققون هذا كله حينما يتناولون في صحفهم أقدر الموضوعات وينشرون أقبح الصور وأحط النكات والفكاهات ويكثر من عرض الأسرار الخاصة والنخبات العائلية فيغذون فضول الجماهير وغرائها الحيوانية ويحبذون أكبر عدد من القراء لأن الغريزة هي أعمق ما في الإنسان وقد تعب المجتمع والأديان والآداب في تهذيب هذه الغريزة فإذا جاء فرد أو صحيفة ليطاق لهذه الغريزة العنان أقبل عليه الناس بلا مرء .

وهذه حقيقة لا تحتاج إلى مهارة صحفية في كشفها ، والغريزة الحيوانية لا تحتاج في إثارتها إلى المهارة الصحفية ، فهناك كثيرون ليسوا صحفيين مهرة ومع ذلك يعرفون كيف يشيرون هذه الغريزة وكيف ينتفعون من إثارتها . فيحصلون على المال ويرضون ما في نفوسهم من غايات من أرخص طريق ومن أحط طريق .

والمسافة قصيرة بين هؤلاء وبين أولئك الصحفيين المهرة ، وهي تتلخص في تغير الاسم وتفاير العنوان . أما الوظيفة فهي واحدة على كل حال . . . ! ! !

أعرف بعض هؤلاء الصحفيين المهرة الذين يستغلون كل مهارتهم الصحفية في نيل غرض حقير في بعض الأوساط وفي سبيل تحقيق هذا النرض تذخر صفحات كاملة عن نساء ويقال عن هؤلاء النساء المستهترات إنهن نماذج للمرأة المصرية الراقية وأهن شرفن مصر ورفعن رأسها عاليا . وتكون نتيجة هذا الإفساد كله لمقايس المجتمع ومعايير الأخلاق سبورة خاصة لا يوجد رجل ذو ضمير يستحل في سبيلها هدم مجتمع وانحلال أمة .

نحن لا نطلب هؤلاء العابثين أن يكونوا ملائكة ولا آدميين ولا نريد أن نحذف من حياتهم المستهتره فليصنعوا في حياتهم الشخصية ما يريدون . ولكن نطلب اليهم فقط ألا ينشروا الاخطاط ويظهروه في ثوب الرقي والتقدم لينالوا من وراء انتشاره سهولة الحصول على غاياتهم .

ولكن حتى هذا لا نطمع في استجابتهم له ، لأنهم كما قلنا يربحون ربعا ماديا من وراء هذا الاخطاط السافر وينالون أغراضا رخيصة ، وهم قتيان ورجال لا ضمائر لهم فلم يبق إذن حاجز من الحواجز يجعلهم يوازنون بين أرباحهم الشخصية وبين خسارة المجتمع الكبيرة .

لم يبق إذن إلا أن نطمع في حزم السلطات ونحوتها ، ولحسن الحظ — في هذه المرة فقط — أن هناك رقابة صحفية تستطيع — اذا كانت هناك خطة معينة للسلطات القائمة على آداب المجتمع وأخلاقه — أن تقف هذه الصحف العابثة عند حد ، فتقف تيار الانحلال الذي تهدد به كين الشعب المسكين .

(٢)

من بين الموضوعات الفارغة التي تلهي بها هذه الصحف قراءها الفارغين وقارئاتها الفارغات : موضوع " النساء الفارسات " والذي يرى عددا من الصحائف يشغل بصور هؤلاء الفارسات وتصريحاتهن (أى والله !) وتصريحات بعض الرجال عنهن ، يغيب إليه أن هناك حدثا هاما يوشك أن يقع أو وقع فعلا ! فيا للتفاهة !

واحد يقول : إن المرأة المصرية قد برهنت بهذا على رقيها وجدارتها بأن تفاخر أختها الغربية . وواحد يقول : إن أول النيت قطار ثم ينهمر ، وأن هؤلاء السابقات في " الفروسية " تتبعهن أنحريات . وبذلك تنهض المرأة المصرية وتأخذ مكانها تحت الشمس ! وواحد يقول شيئا آخر كهذا الكلام الفارغ !

ماذا ؟ ماذا أيها الفارغون النافهون !

كل ما هنالك أن امرأة فارغة أو عدة امرأت فارغات ، لا يجدن في حياتهن شيئا هاما يصنعنه ، ولديهن المال والخدم ، وليس في نفوسهن ولا في عقولهن ثقافة ولا اهتمامات

اجتماعية أو إنسانية ، فأردن أنت "يقتان الوقت" وأن يتبدلين تسلياً شاذة بالقياس الى جنسهن . تسلياً تلفت إليهن أنظار الرجال الفارغين من أمثالهن !

ثم اذا في هذا كله مما يهيم الصحافة، وماذا في هذا كله مما يستدعى التنويه بعملهن كما لو كن قد صنعن لهذا الوطن شيئاً، وقد من لهذا المجتمع خدمة ؟ إن هو الا العبث الفارغ السخيف ! أفهم أن تتحدث هذه الصحف عن فتيات نجحن في حياتهن العلمية أو العملية، أو نساء قمن بخدمات وطنية أو اجتماعية ، أما أن تخصص الصفحة تلو الصفحة لنشر صورة امرأة تركب حصاناً أو تصطاد، وتتحدث عنها كأنها "جان دارك" فهو شيء لا أفهمه ولا يفهمه رجل جاد له في الحياة أهداف أكثر من التسلي والانبساط !

ومن بين الموضوعات الفارغة التي تحفل بها هذه الصحف العابثة مسألة كمسألة قبول الفتيات في الكلية الحربية . يا سلام ! لكننا قد صنفنا شيئاً بشاننا في الخدمة الحربية ولكننا في خرب تلقى فيها البلاد بكل قواتها، فلم يبق إلا أن نجث في الاستعانة بجهود الفتيات ! والمسألة كما أفهمها من عقلية هؤلاء الفارغين أنه راق لأحدهم أن يتصور فتاة تلبس الملابس العسكرية، وإذا كان هذا يروق حضرته فلم لا تقبل الكلية الحربية فتيات يستطيع هذا الفتى في هذه الصحيفة أن يراهن وأن يرسم صورتين وأن يتعرف إليهن عن هذا الطريق ! أى والله ! لا تعدو المسألة مثل هذا الغرض الصغير، وفي سبيله تراق صفحة أو صفحتان أو عدة صفحات، لنشر هراء سخيف حول موضوع سخيف !

وهكذا وهكذا من أمثال هذه الموضوعات التي تهتم النساء الفارغات والرجال الفارغين والفتيان العابثين والجمهور يقرأ ويقرأ، وتتحول اهتماماته من المشاكل الاجتماعية والإنسانية التي تشغل بال العالم، ومن التيارات الفكرية والفنية التي ترفع مستوى الإنسانية ، الى مثل هذه التفاهات الفارغة التي لا تهتم إلا الفارغين والفارغات .

ومع ذلك فهذه الموضوعات هي أظهر وأقيم ما تشغل به هذه الصحافة في القرن العشرين.

(٣)

يفهم بعض الآباء والأمهات في هذا الجيل أن من واجبه تجاه بناتهم أن ينشأ هؤلاء البنات مدلات، لأن هذا يكون دليلاً على النزعة العصرية والرق الاجتماعي، ودليلاً في الوقت ذاته على إعزاز هؤلاء البنات وإعلاء قدرهن ، وتعزيز مركزهن !

وتتعدد مظاهر هذا التدليل الناسد . فيكون منها أن تجاب جميع رغائب البنت طفلة وصبية وفاء وشابة بلا قيد ولا شرط ولا حساب ، رغائبها في المأكول والمشرب والملبس والفسحة والمظاهر وكل ما يخطر على نفسها مما تشتهي في أوسع الحدود .

ويكون من مظاهر التدليل ألا تسمع كلمة تاديب أو نظرة عقاب أو إشارة عناب على خطأ ارتكبته فلا تلتقي إلا الوجوه الباسمة والكلمات اللينة والمداعبات اللطيفة .

ويكون من هذه المظاهر أن تقدم على إخوتها الذكور في كل شيء ، فتقدم رغبتها على رغباتهم ، وحاجتها على حاجاتهم ، وملابسها على ملابسهم ، ومظهرها على مظهرهم ، وكلمتها على كلمتهم : بلا تفرقة ولا تمييز بين الواجب وغير الواجب في جميع هذه الشؤون .

ويكون منها أن تحس بأن كل من حولها يعنون بها في حين لا تعنى هي بأحد . فالجميع مطالبون أن يراعوا شعورها ويوفروا لها رغبتها وهي ليست مطالبة بشيء من هذا القبيل .

ثم تصل هذه الشابة إلى بيت الزوجية ، وقد اعتادت ألا تمنع لها رغبة من الرغبات وألا تلتقي بمشكلة من المشكلات ، وألا تكلف شيئاً من الواجبات ، وألا تسمع إلا لين الكلمات ، وألا تعلق كلمة على كلمتها لرجل من الرجال . حتى والدها كان يحجب جميع رغباتها بلا إبطاء !

والحياة الزوجية — حتى في خير حالاتها — لا يمكن أن تحقق هذا كله . لا يمكن أن تحقق جميع رغبات الزوجة ونزواتها ؛ ولا يمكن أن تخلو من المشا كل المعقدة أو اليسيرة ، ولا يمكن أن يلنى فيها الزوج شخصيته لتلنى عليه الزوجة ما يعنى لها من رغبات ونزوات .

وهنا يقع الاصطدام . الاصطدام بين شابة مدللة لا ترد لها مشيئة ولا تحتمل المشا كل العائلية لأنها لم تصادفها في بيت أبيها ، وبين شاب لا يصبر على هذه الحال ؛ ولا يستطيع — حتى لو أزداد — أن يحقق للزوجة المدللة جميع الرغبات .

كثير من البيوت الحديثة تحطم على هذه الصخرة . وكثير من الأعشاش الجميلة يتناثر من جراء هذا الاصطدام ، ولا لوم على الفتاة ولا على الفتى . إنما اللوم على أولئك الآباء والأمهات الذين لم يعودوا بناتهم أن هناك محظورات وأن جميع الرغبات لا تجاب ولو كان في الاستطاعة إجابتها لتعود النفس على شيء من الحرمان وتتكون لها إرادة تعصمها مما هو أخطر عند ما تواجه تيار الحياة .

أعرف كثيراً من البيوت الزوجية فيها زوجات فاضلات الخلق طيبات القلب ، ولكنهن يفشان في حياتهن الزوجية لأنهن نشأن مدلات هذا التدليل الفاسد . والحياة ، عادة أكثر منها إرادة ، فهن يردن أن يحيين حياة طيبة ولكنهن لم يتعودن هذه الحياة المشتركة ذات التبعات والتضحيات .

أيها الآباء وأيتها الأمهات :

رفقا ببناتكم وبناتكن . رفقا بمستقبلهن الذى يهدده هذا التدليل . فليتعودن بعض الحواجز . وبعض الحرمان ، وليعرفن أنهن مطالبات ببعض الواجبات ، وليتعلمن أن هناك إرادة بجانب إرادتهن هي إرادة الآباء والإخوة وهن أنفس ، وإرادة الأزواج وهن زوجات . فذلك خير لهن من تدليل يعقبه شقاء .

«س»